e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

القلق الوجودي في روايتَي جميل جبر «بعد العاصفة» و«قلق» والتعبير عن أزمة الإنسان المعاصر

مايا حداد*

تاريخ الورود:	١ حزيران ٢٠٢٦
تاريخ الموافقة على النشر:	٢٧ آب ٢٠٢٦
تاريخ النشر:	٢٥ أيلول ٢٠٢٦
استشهد بهذا البحث:	حداد، مايا. (٢٥، أيلول ،٢٠٢٦). الملخص القلق الوجودي في روايتَي جميل جبر «بعد العاصفة» و«قلق» والتعبير عن أزمة الإنسان المعاصر. **مجلة دراسات جامعية في الآداب والعلوم الإنسانية(٢٢)**، ١٦٤-١٩٨. http://cresh.ul.edu.lb/?page_id=80 .

الملخص

يُعَدُّ التيار الوجودي أحد أبرز التيارات الفكرية والفلسفية التي تبلورت ملامحها منذ القرن التاسع عشر، قبل أن تصل إلى ذروة انتشارها في القرن العشرين، ولا سِيَّما في أعقاب الحرب العالمية الثانية، حيث تفاقمت مشاعر القلق والاغتراب والتمرد، وتعززت الحاجة إلى مساءلة الوجود والبحث عن المعنى. وفي

* طالبة دكتوراه، الروح القدس - الكسليك، اللغة العربية وآدابها، لبنان، Maya.i.haddad@net.usek.edu.lb

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

هذا السياق، وجد الأدب في الفلسفة الوجودية أفقًا خصبًا للتعبير، بما يمتلكه من قدرة على سبر أغوار النفس الإنسانية.

ينطلق هذا البحث من محاولة تتبُّع تجلّيات الفكر الوجودي في روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق» لـ«جميل جبر»، كما تسهم الدراسة في إبراز قدرة الرواية على استيعاب أسئلة الإنسان المعاصر وإشكالياته الوجودية المرتبطة بالحرية والبحث عن المعنى، والاغتراب... سعيًا إلى الإجابة عن الإشكالية التالية:

كيف تجلَّى القلق الوجودي في روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق»؟ وإلى أي مدى تطوَّر هذا القلق من رواية إلى أخرى، بما يكشف عن رؤية الكاتب للإنسان المعاصر وأزماته الوجودية؟

ولتحقيق أهداف الدراسة، اعتُمد المنهج البنيوي السردي، لتحليل البنية الداخلية للروايتين ومكوناتهما السردية، ولا سِيَّما بناء الشخصيات، بهدف الكشف عن آليات إنتاج المعنى. كما دُعِّمَ هذا المنهج بالمنهج التأويلي الفلسفي، مستندًا إلى المرجعية الوجودية عند «سارتر»، لتجاوز الوصف البنيوي إلى تفسير الدلالات الوجودية العميقة في الخطاب الروائي. وقد أتاح هذا الدمج تحليل تجليات القلق والحرية والاغتراب والعبث بوصفها مفاهيم وجودية محورية في روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق».

توصَّل البحث إلى أنَّ الوجودية تتجلّى بوضوح في روايتَي «جميل جبر» وفكره، عن طريق حضور مفاهيمها الأساسية، مثل: الحرية والقلق والبحث عن المعنى، مع إبراز صراع الإنسان مع قَدَرِه وإيمانه بقدرته على تشكيل مصيره. كما أظهرت الروايتان حضور قضايا العدم واللامعنى المرتبطة بتجربة الحرب اللبنانية، وما خلَّفته من أزمات إنسانية واجتماعية معاصرة. وخلُصت الدراسة إلى أنَّ القلق الوجودي يشكِّل المحور الفكري الجامع للروايتين، وأنَّ تمثُّلاته تشهد تطورًا من رواية «بعد العاصفة» إلى رواية «قلق»، كاشفةً عن تعمُّق وعي الكاتب بأزمة الإنسان المعاصر وأسئلته الوجودية الكبرى.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

الكلمات المفتاحيّة: الوجودية، القلق، التمرد، الحرية، انعدام المعنى، النظرة التشاؤمية.

المقدمة

يُعَدُّ القلق الوجودي أحد أبرز المفاهيم التي شُغلت بها الفلسفة الوجودية في القرن العشرين، بوصفه حالة إنسانية تنبع من وعي المرء بحريته ومسؤوليته ومحدوديته، في عالم يفتقر إلى اليقين المطلق. فالإنسان وفق التصور الوجودي، يُلقى في الوجود من دون أن يختار مجيئه، ثم يجد نفسه مطالَبًا بصنع معناه الخاص وتحمُّل تبعات اختياراته، الأمر الذي يولِّد شعورًا دائمًا بالاغتراب والتوتر والخوف من الموت.

وقد تناول الفيلسوف الفرنسي «جان بول سارتر» هذا المفهوم بوضوح في كتابه «الوجود والعدم»، فربط القلق بحرية الإنسان المطلقة، ورأى أنَّ الإنسان محكوم عليه بالحرية، وأنَّ هذا الوعي بالحرية يفضي إلى شعور عميق بالقلق؛ لأنَّ الفرد يدرك أنه المسؤول الوحيد عن أفعاله وعن تشكيل وجوده في عالم لا يقدِّم له يقينًا جاهزًا. ومن هذا المنطلق، لم يعد القلق الوجودي مفهومًا فلسفيًّا مجردًا، بل تحوَّل إلى ظاهرة أدبية تتجلى في الرواية الحديثة من خلال الشخصيات، ومن بينها روايتا «بعد العاصفة» و«قلق» لـ«جميل جبر» (١٩٢٣-٢٠١٢).

ويُعَدُّ جبر أحد الأصوات الفكرية والأدبية البارزة؛ إذ أثرى المكتبة العربية بعدد كبير من الكتب والدراسات والأبحاث، التي تنوعت بين النقد والفكر والإبداع الروائي، ما يجعل مشروعه الأدبي جديرًا بالدرس والتحليل.

وقد وقع الاختيار في هذه الدراسة على روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق» تحديدًا؛ لأنهما تمثِّلان مرحلتين دالَّتين في تشكُّل الوعي الوجودي داخل عالم «جميل جبر» الروائي؛ ففي رواية «بعد العاصفة» يلوِّح القلق الوجودي بوصفه إحساسًا خافتًا يتسلل إلى الشخصيات عبر التجربة الحياتية، في حين يتكثف هذا القلق ويتحول في رواية «قلق» إلى بؤرة مركزية تهيمن على البناء السردي وتوجِّه حركة الشخصية الرئيسة، وأفكارها وأسئلتها المصيرية؛ ومن ثَمَّ تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة تجلِّيَات القلق الوجودي في الروايتين

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

عن طريق تحليل الشخصيات ورصد تحوُّل رؤيتها إلى الذات والعالم، بغية الكشف عن الكيفية التي أصبح بها القلق عنصرًا مهيمنًا على عالم «جميل جبر» الروائي ورؤيته للإنسان والوجود.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في توظيف مفاهيم الفلسفة الوجودية في مقاربة النص الروائي، والكشف عن تمثُّلات القلق الوجودي في عالم «جميل جبر» الروائي. كما تسهم الدراسة في إبراز قدرة الرواية على استيعاب أسئلة الإنسان المعاصر وإشكالياته الوجودية المرتبطة بالحرية والبحث عن المعنى، والاغتراب... ولا سِيَّما في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية التي تزيد من حدة الشعور بالاغتراب والقلق. ومن هذا المنطلق، لا تقتصر أهمية البحث على رصد الظاهرة الفكرية داخل الروايتين، بل تتجاوز ذلك إلى مقاربة أزمة الإنسان المعاصر من خلال الأدب، واستجلاء السبل التي يقترحها الخطاب الروائي للتخفيف من وطأة القلق الوجودي، عن طريق الوعي بالذات وإعادة بناء المعنى.

١. أهداف البحث وإشكالياته وفرضياته

يهدف هذا البحث إلى:

- دراسة بناء الشخصيات في روايتي «بعد العاصفة» و«قلق»، والكشف عن تجليات القلق الوجودي في بنائها.
- تحليل تجليات القلق الوجودي في الروايتين، ورصد تطوُّر حضوره من رواية إلى أخرى، وبيان الكيفية التي يوظف بها الكاتب، السرد الروائي للتعبير عن أسئلة الإنسان الكبرى، وإشكالياته الوجودية.
- الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في مقاربة القلق الوجودي ودوره في التعبير عن أزمة الإنسان المعاصر.

وتنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسة، مفادها:

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

كيف تجلَّى القلق الوجودي في روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق»؟ وإلى أي مدى تطوَّر هذا القلق من رواية إلى أخرى، بما يكشف عن رؤية الكاتب للإنسان المعاصر وأزماته الوجودية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

– كيف تجلَّى القلق الوجودي في شخصيات الروايتين وفي مساراتها الفكرية والنفسية؟

–هل حافظ القلق الوجودي على الدرجة نفسها من الحضور في الروايتين، أم أنَّه ازداد واتخذ أوجهًا أخرى في الرواية الثانية؟

– إلى أي مدى أسهمت «ثيمات» الحرية والموت والعبث والاغتراب والتمرد وانعدام المعنى... في بناء القلق الوجودي لدى الشخصيات، والكشف عن رؤية «جميل جبر» للوجود الإنساني؟

وانطلاقًا من إشكالية البحث وتساؤلاته، تقوم هذه الدراسة على مجموعة من الفرضيات التي تسعى إلى اختبارها والاستيثاق من مدى صحتها؛ إذ تفترض الدراسة أنَّ القلق الوجودي يشكِّل محورًا أساسيًّا في الروايتين، وأنَّه يتجلى في بناء الشخصيات وفي مساراتها الفكرية والنفسية من خلال شعورها بالاغتراب والبحث المستمر عن المعنى. كما تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنَّ حضور القلق الوجودي لا يتخذ الدرجة نفسها في الروايتين، بل يتطور من رواية «بعد العاصفة» إلى رواية «قلق»؛ إذ يبدو أكثر هيمنةً على البناء السردي للشخصيات، بما يُظهر تطورًا في رؤية الروائي الفلسفية.

وتفترض الدراسة أنَّ «جميل جبر» قد عبَّر عن القلق الوجودي بتوظيف مجموعة من الثيمات الوجودية، مثل: الحرية والاغتراب والعبث والتمرد وانعدام المعنى... وربما يكشف التحليل المقارن للروايتين أنَّ القلق الوجودي لا يُطرح بوصفه أزمة فردية تخص الشخصيات الرئيسة داخل الروايتين فحسب، بل بوصفه رؤية شاملة للوجود الإنساني، تُظهر رؤية الكاتب لأزمات الإنسان المعاصر.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

٢. الدراسات السابقة والتأطير النظري

بعد مراجعة المصادر والمراجع المتاحة، لم نعثر على دراسة علمية مستقلة تناولت ملامح الوجودية في كتابات «جميل جبر»، مما يمنح هذا البحث قدرًا من الأصالة العلمية، ويسهم في سد ثغرة بحثية تتصل بدراسة القلق الوجودي وتمثلاته في نتاج الأديب. غير أننا وقفنا على عدد من الدراسات التي عالجت الوجودية في أعمال أدباء آخرين، وقد استفدنا منها في فهم الظاهرة الوجودية وآليات تجلّيها في الخطاب الأدبي، والتعرف إلى المناهج النقدية المعتمدة في مقاربة النصوص الأدبية ذات البعد الوجودي.

- الدراسة الأولى: دراسة للكاتبة الجزائرية «أشواق عرباجي»، (٣٠-٦-٢٠٢٤)، بعنوان: «مظاهر الوجودية في رواية، لحظات لا غير، لفاتحة مرشيد».

واهتمت هذه الدراسة بدراسة تجليات الفكر الوجودي في الرواية العربية المعاصرة، معتمدة المنهج الوصفي التحليلي في مقاربة البنية السردية ودلالاتها.

انطلقت الدراسة باعتبار الوجودية من الفلسفات التي أعادت مساءلة الوجود الإنساني بعد الحرب العالمية الثانية، وتحولت من إطارها الفلسفي إلى الحقل الأدبي؛ إذ أصبح الأدب، ولا سِيَّما الرواية، وسيلة للتعبير عن قضايا القلق، والعبث، والحرية، والاغتراب، والموت. وتؤكد الدراسة في مجملها أنَّ النص الروائي يعكس تمثلات الفكر الوجودي بوصفه تعبيرًا عن أزمة الإنسان المعاصر وتوتر علاقته بالذات والعالم. وقد خلُصت الدراسة إلى أنَّ الرواية تُجسِّد رؤية وجودية واضحة تتبدى في بناء الشخصيات التي تعيش صراعًا داخليًّا بين البحث عن المعنى والشعور باللاجدوى.

وقد أفادتنا هذه الدراسة في بحثنا؛ إذ أبرزت مظاهر القلق الوجودي في النصوص الروائية، وهو ما يتقاطع مع موضوع دراستنا عن القلق الوجودي والتعبير عن أزمة الإنسان المعاصر.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

وهي بالمقابل تختلف عن بحثنا في كونها تقتصر على تحليل تجليات الوجودية داخل رواية واحدة من خلال رصد مفاهيمها الأساسية، في حين يتجاوز بحثنا ذلك إلى مقاربة القلق الوجودي بوصفه إشكالية بنيوية مرتبطة بأزمة الإنسان المعاصر. كما لا يكتفي بحثنا بإثبات حضور المفاهيم، بل ينشغل بكيفية تشكُّلها ووظائفها الدلالية داخل الخطاب الروائي.

الدراسة الثانية: تمثلت في مقال علمي للكاتب الإيراني «علي خضري»، بعنوان: «ملامح الوجودية وتمظهراتها في شعر بدر شاكر السياب». نُشرت في (١-٥-٢٠٢١)، في «مجلة العلوم الإنسانية»، منشورات جامعة الإخوة منتوري قسنطينة – الجزائر. وهدفت هذه الدراسة إلى استقصاء تجليات الفكر الوجودي في شعر بدر شاكر السياب، بتطبيق مبادئ الفلسفة الوجودية على نصوصه الشعرية، والكشف عن حضور مفاهيم الإنسان، والحرية، والاغتراب، والموت في تجربته الإبداعية. وقد خلصت الدراسة إلى أنَّ السياب جعل الإنسان محور رؤيته الشعرية، معبِّرًا عن شعوره بالغربة والقلق في مواجهة الواقع، كما بينت أنَّ تصوره للموت يختلف عن التصور الوجودي التقليدي؛ إذ نظر إليه بوصفه بداية لحياة جديدة، لا نهايةً للوجود. وقد استفدنا من هذه الدراسة في تحديد بعض المفاهيم الوجودية التي يمكن الاستناد إليها في تحليل النصوص الأدبية، فضلًا عن الإفادة من منهجها في رصد تمظهرات الفكر الوجودي داخل العمل الأدبي. غير أنَّها تختلف عن البحث الحالي من حيث الموضوع والمتن الأدبي؛ إذ انصرفت إلى دراسة الوجودية في شعر بدر شاكر السياب، في حين يتناول بحثنا، القلق الوجودي والتعبير عن أزمة الإنسان المعاصر في روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق»، وهو ما يمنح البحث الحالي خصوصيته وتميزه.

كشفت الدراسات السابقة، على اختلاف منطلقاتها المنهجية وموضوعاتها، عن تعدد المقاربات التي تناولت الفكر الوجودي وتجلياته في الخطاب الأدبي. غير أنَّ الإفادة من هذه الدراسات لا تقتصر على عرض

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

نتائجها، بل تمتد إلى توظيفها بوصفها منطلقًا لبناء الإطار النظري الذي تستند إليه هذه الدراسة. وانطلاقًا من ذلك، يأتي التأطير النظري ليُرسِّخ الأسس الفلسفية والنقدية لمفهوم الوجودية، ويحدد مفاهيمها الرئيسة.

بعد استعراض الدراسات السابقة وما قدَّمته من مقاربات للظاهرة الوجودية في الخطاب الأدبي، تقتضي طبيعة هذه الدراسة الوقوف أولًا عند مفهوم الوجودية وتحديد دلالاته ومرتكزاته الفكرية والفلسفية؛ وذلك بوصفه الإطار النظري الذي تستند إليه قراءة تمثُّلاتها في روايتَي جميل جبر، ولا سِيَّما أنَّ مفهوم الوجودية يتسم بتعدد المقاربات واختلاف التصورات التي تناولته، وهو ما يستدعي تحديد المقصود به في هذه الدراسة، وبيان أبرز المبادئ التي يقوم عليها، بما يمهد لاحقًا لتحليل تجلياته في الخطاب الروائي.

الوجودية «مذهب فلسفي يرى أنَّ الوجود يتقدم الماهية، وأنَّ الإنسان حرٌّ يستطيع أن يصنع نفسه ويتخذ موقفه كما يبدو له تحقيقًا لوجوده الكامل». (مجموعة من الأدباء، ٢٠١٣، ص١٥٠٧). و«ظهر هذا المذهب الفلسفي الأدبي في أوروبا في القرن العشرين. وهو يُعنى بالوجود الإنساني، ويعتمد على دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات، أي الوجود الذي يعيشه الإنسان» (عفيفي، ١٩٩٢، ص٩٤)، وهو أهم مذهب فلسفي أدبي ظهر في أوروبا، واستقر في الآداب الأوروبية في القرن العشرين.

يهتم هذا المنهج بالإنسان، «من حيث قدرته على الاختيار من دون سائر الموجودات، وهذا الاختيار في الإنسان يعني حريته» (عفيفي، ١٩٩٢، ص٩٤)، فلا يتحقق وجود الإنسان إلا بالحصول على حريته، ولا حرية من دون اختيار.

ومن المعروف عمومًا «أنَّ الوجودية فلسفة تدور حول الفرد بكيانه المادي الملموس» (فلين، ٢٠٠٦/٢٠١٤، ص١٠). كما ادَّعى الوجوديون «أنَّ فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات» (عفيفي، ١٩٩٢، ص٩٥).

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

وفي سياق تحديد طبيعة الوجودية وتعدُّد المنطلقات التي قامت عليها، يوضح «إمام عبد الفتاح»، في مقدمة كتاب «الوجودية» لـ«جون ماكوري»، الذي ترجمه إلى العربية، أنَّه على الرغم من عدم اعتناقه الوجودية مذهبًا، لكنه يدرك أهميتها وضرورة دراستها، بوصفها «صرخة لإنقاذ الفرد من الطغيان والسيطرة: طغيان الجماعة، وسيطرة السلطة أو التقليد الأعمى، ودعوة لكل فرد أن يكون شخصًا منفردًا متميّزًا لا مجرد فرد في قطيع، حتى ولو كان قائدًا للقطيع. فشعارها: لأنْ تكون فردًا في جماعة الأسود، خيرٌ لك من أن تقود النعاج! وإذا كان الوجوديُّ يردد عبارة «فولتير» الشهيرة: «كن رجلًا ولا تتبع خطواتي!»، فما أحوجنا إلى أن نُصِيخ السمع إلى ما يقول مهما كان رأينا فيه بعد ذلك» (ماكوري، ١٩٨٢، ص١١). ويكشف هذا التصور عن أحد المرتكزات الأساسية للفكر الوجودي، المتمثل في تأكيد فردية الإنسان ورفض إخضاعه للسلطة أو الجماعة، بما يجعل الحرية والاستقلال في بناء الذات من القضايا المركزية في هذا الفكر.

ولا ينفصل هذا التأكيد على فردية الإنسان عن طبيعة الوجودية نفسها بوصفها اتجاهًا فكريًّا مفتوحًا لا يستند إلى نسق فلسفي واحد مغلق؛ إذ يرى «جون ماكوري» أنَّ الوجودية «هي طريقة في التفلسف قد تؤدي بمَن يستخدمها إلى مجموعة من الآراء التي نختلف فيما بينها أشدَّ ما يكون الاختلاف، حول العالم وحياة الإنسان فيه» (ماكوري، ١٩٨٢، ص١٧). ومن هنا يتضح أنَّ الوجودية لا تقوم على مجموعة موحدة من المبادئ بقدر ما تشترك اتجاهاتها المختلفة في الانشغال بالإنسان ووجوده، وبالأسئلة التي يطرحها عن الحرية والاختيار والمسؤولية والمعنى.

وقد انعكس هذا الطابع المنفتح والمتعدد للوجودية على الأدب؛ إذ وجد الأدباء فيها إطارًا فكريًّا قادرًا على التعبير عن التجربة الإنسانية في أبعادها النفسية والفلسفية، فغدا الاهتمام منصبًّا على الإنسان وأسئلته المصيرية وأزماته الوجودية، أكثر من انشغاله بالزخرفة الفنية والصياغة الشكلية.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

ولذلك عُدَّ الأسلوب في الأدب الوجودي «وسيلة وليس غاية» (عفيفي، ١٩٩٢، ص٩٦)، أي إنَّ القيمة الفنية للنص لا تنفصل عن قدرته على التعبير عن رؤية الإنسان لذاته وللعالم من حوله.

وفي هذا الإطار، ارتبط الفكر الوجودي بأسماء فلسفية وفكرية بارزة أسهمت في تشكيل مفاهيمه وتطوير أسئلته، وفي مقدمتها «جان بول سارتر» (Jean Paul Sartre)، (١٩٠٥-١٩٨٠)، و«مارتن هيدغر» (Martin Heidegger) (١٨٨٩-١٩٧٦)، إلى جانب عدد من المفكرين الذين اختلفوا في تصوراتهم ومواقفهم، لكنهم اشتركوا في جعل الوجود الإنساني محورًا للتفكير الفلسفي.

ويُعَدُّ «جان بول سارتر» أحد أبرز ممثلي الوجودية في القرن العشرين، وقد أسهم إسهامًا كبيرًا في بلْوَرة معالم الفكر الوجودي ونشره في الأوساط الفلسفية والأدبية. انطلق «سارتر» من فكرة أساسية مفادها أنَّ الوجود يسبق الماهية، أي إنَّ الإنسان لا يولد مزوَّدًا بطبيعة أو جوهر محدَّد سلفًا، بل يصنع ذاته من اختياراته وأفعاله، بدل أن تكون له ماهية ثابتة تحدد سابقًا ما سيكون عليه. وقد ركَّز في فلسفته على مفاهيم الحرية والمسؤولية والاختيار؛ إذ يرى أنَّ الإنسان محكوم عليه بالحرية؛ لأنه يتحمل مسؤولية تشكيل وجوده الخاص في عالم يفتقر إلى المعنى الجاهز، فـ«الشرط الضروري والأساسي لكل عمل هو حرية الكائن الفاعل» (سارتر، ١٩٤٣/٢٠٠٩، ص٥٦٢). وقد انعكست هذه الرؤية في مؤلفاته الفلسفية والأدبية، ولا سِيَّما رواياته ومسرحياته التي عالجت قلق الإنسان الحديث وشعوره بالاغتراب ومواجهته للعبث والعدم. لذلك ارتبط اسم «سارتر» بالاتجاه الوجودي الأدبي الذي جعل من الأدب مجالًا للتعبير عن التجربة الإنسانية ومشكلاتها المصيرية.

وفي السياق نفسه، يُعَدُّ الفيلسوف الألماني «مارتن هيدغر» أحد أهم الفلاسفة الذين أسهموا في تأسيس الفكر الوجودي المعاصر، على الرغم من اختلافه عن «سارتر» في بعض المنطلقات الفلسفية. وقد انصبَّ اهتمامه على دراسة معنى الوجود الإنساني.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

«وتأتي أهمية فلسفة هيدجر من قدرتها على تجاوز الجدل الذي دار طويلًا بين الاتجاهات الفلسفية المختلفة في أولوية الفكر على الواقع أو الواقع على الفكر والقضاء على ثنائية الذات/الموضوع التي ورثتها الفلسفة من ديكارت، كما أنَّها أحدثت تحولًا جذريًّا في العديد من المفاهيم الفلسفية... واستطاعت أيضًا طرح السؤال عن الوجود على مستوى أكثر أصالة من أي فلسفة أخرى... واهتمت اهتمامًا بالغًا –خاصةً في الفترة المتأخرة– بالتفكير واعتبرته السبيل الوحيد للخروج من أزمة الإنسان المعاصر، كما أنَّها أوْلَت الإنسان اهتمامًا كبيرًا». (سليمان، لا ت، ص٧).

بحث «هيدغر» في علاقة الإنسان بالوجود، مؤكدًا أنَّ الإنسان يعيش حالة من القلق الوجودي عندما يعي محدوديته وفناءه واقترابه من الموت. فالقلق عنده تجربة تكشف للإنسان حقيقة وجوده وتدفعه إلى مواجهة ذاته والعالم من حوله. ومن هنا كان لفلسفته أثر واضح في الفكر الأدبي الحديث؛ إذ أسهمت مفاهيمه عن القلق والموت والوجود في توجيه كثير من الكتاب إلى معالجة الأسئلة الوجودية الكبرى.

٣. المنهج المتَّبَع، ومقاربة الموضوع

اعتمدنا في هذا البحث، على منهج مركب من البنيوي السردي والتأويلي الفلسفي؛ فالمنهج البنيوي السردي، بوصفه المنهج الرئيس في تحليل روايات «جميل جبر»، لما يتيحه من دراسة البنية السردية للنصوص من خلال تحليل مكوناتها الداخلية، وتتبُّع حضور المفاهيم الوجودية في البنية السردية، والكشف عن العلاقات التي تنتظم عناصرها الفنية، ولا سِيَّما بناء الشخصيات، بما يسمح بفهم آليات إنتاج المعنى داخل النص الروائي. وهذا المنهج، على الرغم من دقته الإجرائية، يظل معنيًّا بالبنية النصية في حدودها الداخلية، ولا يتيح وحدَه الانتقال إلى تأويل المضامين الفلسفية واستنطاق الأنساق الفكرية التي تنبني عليها الرؤية الروائية.

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

لذلك، استعنَّا بالمنهج التأويلي، وتحديدًا التأويل الفلسفي في تصوُّر «جان بول سارتر»؛ «لاستكشاف عوالم النص الواقعية والممكنة» (جرجور وآخرون، ٢٠٢٠، ص٣٢) بوصفه منهجًا يتجاوز الوصف البنيوي إلى تفسير الدلالات الوجودية الكامنة في النص. وينطلق «سارتر» من أنَّ الأدب ليس محاكاةً للواقع، بل هو فعل وجودي يكشف عن موقف الإنسان من العالم، ويجسد تجربته في الحرية والاختيار والمسؤولية. وانطلاقًا من مبدئه الفلسفي القائل إنَّ «الوجود سابقًا على الماهية» (سارتر، ١٩٤٦/٢٠١٢، ص٢٧)، يصبح النص الأدبي فضاءً تتجلى فيه كيفية تشكُّل الإنسان عبر أفعاله واختياراته، لا عبر ماهية سابقة أو قدَرٍ محتوم. ومن ثَمَّ، يتيح هذا المنهج تأويل الخطاب الروائي في ضوء القضايا الوجودية، والكشف عن تجليات القلق، والحرية، والعبث، والمسؤولية، والاغتراب، بوصفها مفاهيم مركزية في التجربة الإنسانية، وهو ما ينسجم مع طبيعة هذا البحث الذي يسعى إلى استجلاء تمثُّلات الفكر الوجودي في روايتَي «بعد العاصفة»، و«قلق». وانطلاقًا من هذا المنهج المركَّب، تتكامل القراءة البنيوية السردية مع المقاربة التأويلية الفلسفية في الكشف عن تمثُّلات القلق الوجودي وأبعاده في روايتَي «جميل جبر»؛ إذ تتيح الأولى رصد الكيفية التي تنتظم بها العناصر السردية وتتفاعل في بناء الشخصية وتشكيل مسارها داخل النص، في حين تسهم الثانية في تأويل الأبعاد الفكرية والفلسفية الكامنة وراء مواقف الشخصيات وأفعالها وصراعاتها الداخلية؛ ومن ثَمَّ، لا تُقرأ الشخصية الوجودية بوصفها عنصرًا سرديًّا فحسب، بل بوصفها بنيةً دالَّةً تتقاطع فيها أسئلة الحرية والاختيار والمسؤولية والقلق والبحث عن المعنى، بما يكشف عن رؤية الكاتب للإنسان في مواجهة وجوده ومصيره. وعلى هذا الأساس، تنتقل الدراسة إلى تتبُّع بناء الشخصية الوجودية، وتحولاتها، وما تنهض به من وظائف في تجسيد الرؤية الوجودية في الروايتين.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

٤. بناء الشخصية الوجودية

لا تقتصر دراسة الشخصيات في الروايتين على رصد أبعادها الجسمانية والاجتماعية والنفسية، وإنما تتجه إلى استقراء ما تنطوي عليه هذه الأبعاد من دلالات وجودية. وعليه، يسعى هذا المبحث إلى الكشف عن صورة الإنسان في علاقته بذاته والآخر والعالم، وما يعتري هذه العلاقة من قلق واغتراب وصراع داخلي، وما يترتب عليها من وعي بالحرية والمسؤولية والبحث عن معنى الوجود.

١.٤ أثر العلاقات ومحاور الصراع في رواية «بعد العاصفة»

تنتمي شخصيات رواية «بعد العاصفة» إلى خلفيات اجتماعية وثقافية مختلفة، وقد استمد «جميل جبر» أبطاله من واقع الحياة اللبنانية، ولا سِيَّما الطبقة المكافحة في سبيل العيش، كاشفًا أثر البيئة الاجتماعية في تشكيل هوياتهم وصراعاتهم النفسية. ويقتصر البحث على الشخصيات الرئيسة بوصفها الحامل الأبرز للتجربة الوجودية؛ إذ تتكثف من خلالها أسئلة الحرية والاختيار والمسؤولية والقلق.

شخصية نزيه الشمَّاع: تمثِّل شخصية «نزيه» المحور الرئيس الذي تنتظم حوله معظم العلاقات والصراعات في الرواية، وتتشكل أبعادها من خلال علاقتها بـ«نهاد» والمجتمع والذات. فعلاقته بنهاد تتجاوز بعدها العاطفي لتكشف صراعًا بين الرغبة الفردية والقيم الاجتماعية والأخلاقية؛ إذ يسعى في البداية إلى تجاوز القيود التي تحُول دون حبهما، مبررًا اختياراته بحق الفرد في تحقيق ذاته، غير أنَّ هذه الرغبة تتحول تدريجيًّا إلى مصدر للصراع الداخلي والشعور بالذنب، وصولًا إلى قراره بالابتعاد عنها. وبذلك تنتقل الشخصية من مواجهة القيود الخارجية إلى مساءلة الذات وتحمُّل مسؤولية الاختيار.

ويتصل هذا الصراع بعلاقة نزيه بالمجتمع؛ إذ يواجه الفوارق الطبقية والتقاليد الموروثة والتعصب الأسري، ويشكِّل الفقر أحد أبرز العوامل المؤثرة في رؤيته لذاته ومستقبله، حتى يبدو له الواقع «اضطرابًا مستمرًّا والمستقبل غارقًا في الظلام» (جبر، ١٩٥٤، ص١٧).

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

أمّا علاقة نزيه بذاته، فتمثِّل المستوى الأعمق في بناء شخصيته؛ إذ تتجاذبه الرغبة والقيم، والتحرر والمسؤولية. وتشكِّل نهاية الرواية لحظة مراجعة لاختياراته، حين يقوده الشعور بالذنب إلى الابتعاد عن نهاد. وبذلك تتخذ أزمتُه بُعدًا وجوديًّا يقوم على إدراك أنَّ الحرية ليست تحررًا مطلقًا من القيود، وإنما هي اختيار يستدعي تحمُّل نتائجه، وهو ما يكشف عن تطور وعي الشخصية بذاتها ومسؤوليتها عن أفعالها.

شخصية نهاد: لا تقل شخصية «نهاد» أهمية عن شخصية «نزيه» في بناء الصراع الوجودي في الرواية؛ فهي تمثل نموذجًا لشخصية تصطدم رغبتها الفردية بالقيود الاجتماعية والأسرية. وتتوزع علاقاتها بين الزوج والأسرة ونزيه والمجتمع، غير أنَّ هذه العلاقات جميعها تنتهي إلى صراع داخلي بين ما فُرض عليها وما ترغب في اختياره.

ويكشف زواج «نهاد» من «رشيد الراعي»، وهو رجل يكبرها سنًّا، عن علاقة لم تقُم على الاختيار الحر؛ إذ زُوِّجت به وهي في الخامسة عشرة من عمرها؛ ولذلك أصبح الزواج لها مجالًا للصراع بين الدور الاجتماعي المفروض عليها وبين حاجتها إلى تحقيق ذاتها ورغبتها في أن تكون زوجة لا ممرضة، كما تقول: «أردتُ أن أكون زوجة لا ممرضة» (جبر، ١٩٥٤، ص٣٣). وتكشف هذه العبارة عن رفض الشخصية للاختزال في الدور الذي فرض عليها، وعن رغبتها في أن يكون وجودها قائمًا على الاختيار. لذا لا يمكن قراءة تمرُّدِ نهادٍ بوصفه مجرد خروج على القواعد الاجتماعية، بل بوصفه استجابة لأزمة أعمق تتصل بحق الإنسان في اختيار مسار حياته.

وترتبط معاناة نهاد أيضًا بالمنظومة الاجتماعية التي جعلت قرار الزواج شأنًا عائليًّا يتجاوز إرادتها الشخصية. ولذلك تتحول الأسرة والمجتمع إلى قوة ضاغطة تحدُّ من قدرتها على اختيار مستقبلها، مما يدفعها إلى التمرد والبحث عن مساحة تحقق فيها ذاتها.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

ويظهر هنا أحد المحاور الأساسية في بناء الشخصية الوجودية، وهو الصراع بين الفرد والجماعة؛ فالشخصية تريد أن تكون ذاتًا مستقلة قادرة على الاختيار، في حين يسعى المجتمع إلى إخضاعها لمعاييره وأدواره الجاهزة؛ ومن ثَمَّ، فإنَّ تمرد نهاد يمثل محاولة لاستعادة الذات التي سلبها القرار الاجتماعي منها منذ طفولتها.

ويمثل نزيه لنهاد مجالًا مختلفًا عن العالم الذي فُرض عليها؛ فهو يتيح لها اختبار الحب والاختيار وإعادة تصور حياتها خارج حدود الزواج المفروض. ولذلك يصبح ارتباطها به تعبيرًا عن رغبة في استعادة ذاتها وتحقيق حياة اختارتها بنفسها. غير أنَّ هذه العلاقة تكشف في الوقت نفسه عن تناقض الشخصية؛ فهي الخائنة لزوجها والوفية لحبها، المقيدة بقرار الأسرة والثائرة على المجتمع. وهذا التناقض لا ينبغي أن يُقرأ من منظور أخلاقي أحادي، بل بوصفه نتيجة للصراع بين منظومتين متعارضتين: منظومة الواجب الاجتماعي، ومنظومة الرغبة الفردية. وعليه، فإنَّ نهاد لا تظهر شخصيةً متمردة فحسب، بل تبدو شخصيةً مأزومةً تبحث عن صيغة تحقق بها ذاتها في ظل قيود اجتماعية تحُول دون اختيارها الكامل. ومن هنا يتجسد بُعدها الوجودي في صراعها المستمر بين ما فُرض عليها وما تريد أن تكونه.

٢.٤ محاور الصراع الوجودي في «بعد العاصفة»

يكشف تحليل دوائر العلاقات في الرواية عن مجموعة من المحاور التي تسهم في بناء الشخصية الوجودية، يأتي في مقدمتها الصراع بين الحرية والقيود؛ إذ تسعى الشخصيات إلى تحقيق اختياراتها، لكنها تصطدم بالأسرة والمجتمع والواقع الطبقي.

كما يبرز الصراع بين الرغبة والمسؤولية، ولا سِيَّما في علاقة نزيه بنهاد؛ فالرغبة في تحقيق الحب تصطدم بإدراك نتائج الاختيار، وينتهي المسار إلى الشعور بالذنب ومراجعة الذات.

ويظهر أيضًا الصراع بين الفرد والمجتمع، حيث تحاول الشخصيات تجاوز الأدوار التي رسمَتها لها البيئة الاجتماعية، فتغدو العلاقات الاجتماعية مجالًا للصدام بين إرادة الفرد والقيود الاجتماعية.

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

أما أعمق محاور الصراع فيتمثل في الصراع مع الذات؛ إذ لا تقف الأزمة عند حدود مواجهة الخارج، بل تنتقل إلى داخل الشخصية، فتجد نفسها أمام اختياراتها ونتائج أفعالها، وهو ما يمنح الصراع بُعده الوجودي. ومن ثَمَّ، فإنَّ بناء الشخصية في «بعد العاصفة»، لا يقوم على مجموعة من السمات النفسية والاجتماعية المنفصلة، بل يتشكل من حركة مستمرة بين الرغبة والواقع، والحرية والقيود، والاختيار والمسؤولية، وهي الحركة التي تكشف عن وعي الشخصيات بأزمتها الوجودية وتمنحها بُعدها الفكري والفلسفي.

٣.٤ دوائر العلاقات ومحاور الصراع في رواية «قلق»:

تتشكل الشخصيات الرئيسة في رواية «قلق» ضمن شبكة من العلاقات التي تكشف عن أزماتها النفسية والوجودية؛ إذ تتحول علاقتها بالآخر والمجتمع والذات إلى فضاءات للصراع، تتجلى منها أسئلة الحرية والاختيار والمسؤولية والبحث عن المعنى.

- **خليل الوردي:** تمثل شخصية «خليل الوردي» محورًا رئيسًا في رواية «قلق»، إذ تتقاطع من خلالها مجموعة من العلاقات والصراعات التي تكشف عن أزمة الإنسان في مواجهة الرتابة والفراغ وفقدان المعنى. ويعيش «خليل» حياة يومية تتسم بالتكرار والملل، في ظل واقع اجتماعي لا يمنحه، في نظره، فرصة حقيقية لتحقيق ذاته أو ممارسة ميوله إلى الشعر والرسم؛ ولذلك يعبِّر باستمرار عن رغبته في تجاوز هذا الواقع بقوله: «أريد أن أفعل شيئًا» (جبر، ١٩٦١، ص١٦٦). ولا تبدو هذه العبارة مجرد تعبير عن الملل، وإنما تكشف عن حاجة الشخصية إلى إثبات حضورها في العالم وإضفاء معنى على وجودها. وتُعَدُّ علاقة «خليل» بـ«ثريا» أهم دوائر العلاقات في الرواية؛ إذ يجد كل منهما في الآخر انعكاسًا لأزمته الخاصة. فقد انجذب خليل إليها منذ البداية لأنه رأى فيها صورة من انكساره، فهي «كئيبة» و«مستوحشة» مثله، ونفسها «متألمة كنفسه» (جبر، ١٩٦١، ص١٥، ١٨). ومن ثَمَّ، لا يقوم انجذابه إليها على البُعد العاطفي وحده، وإنما يرتبط بشعوره بأنَّ الآخر يشاركه تجربته في الاغتراب.

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

وتتخذ علاقة خليل بثريا في بدايتها صورة تجمع بين الحب والرغبة؛ فهو يريد مساعدتها على إيجاد عمل، لكنه يعترف في الوقت نفسه برغبته في إبقائها إلى جانبه؛ إذ «يحلم بتشغيل ثريا، بإنقاذها لتبقى له» (جبر، ١٩٦١، ص٣٣). ويكشف هذا الموقف عن تناقض في بناء الشخصية؛ فهو يمارس دور المنقذ، لكنه لا يخلو من رغبة في امتلاك الآخر والاحتفاظ به؛ مما يجعل العلاقة مجالًا لصراع بين التعاطف والمصلحة الذاتية.

غير أنَّ هذه العلاقة تتخذ بُعدًا مختلفًا بعد تعرُّض ثريا للحادث الذي يُقعدها ويغيِّر حياتها جذريًّا. فعندما يواجه خليل صورتها الجديدة، لا يتخلى عنها، بل يبقى إلى جانبها، ويأخذ بيدها ويهدئ من روعها ويؤمِّلها بالشفاء (جبر، ١٩٦١، ص١٢٩-١٣٠). وتكتسب هذه اللحظة أهمية خاصة في بناء الشخصية؛ لأنَّ الحب لم يعد مرتبطًا بالصورة الجمالية أو الجسدية للآخر، وإنما أصبح مرتبطًا بالقدرة على تحمُّل المسؤولية ومواجهة نتائج الواقع.

ومن هنا، تتحول علاقة خليل بثريا إلى اختبار حقيقي لقدرته على الالتزام. فبقاؤه إلى جانبها بعد الحادث يكشف عن وعي بالمسؤولية يتجاوز الرغبة، ويجعل العلاقة فضاءً تتصارع فيه حاجته العاطفية مع واجبه تجاه الآخر. ولذلك فإن هذه العلاقة تسهم بصورة أساسية في تشكيل الشخصية الوجودية لخليل؛ لأنها تضعه أمام ضرورة الاختيار وتحمُّل نتائج هذا الاختيار.

لا تقف العلاقة بين خليل وثريا، عند حدود الوفاء؛ إذ يؤدي مرض ثريا وما ترتَّب عليه من تغير في حياتها إلى إعادة تشكيل علاقة خليل بها. ويظهر ذلك جليًّا بعد تعرفه إلى «فرنسواز» في فرنسا، فيكتشف أنَّ حياته العاطفية نفسها قد أصابها نوع من الجمود، وأنَّ العشق الذي كان يربطه بثريا بدأ يتغير تحت تأثير الصبر والكبت والحرمان.

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

وهنا يدخل خليل في صراع داخلي حاد بين حاجته إلى استعادة حياته العاطفية وبين شعوره بالوفاء تجاه ثريا. ويتجلى هذا الصراع في قوله: «خيانة! لا. لا أظن أنَّ كائنًا بشريًّا يستطيع أن يفعل أكثر مما فعلت، أن يكون أشد وفاءً...» (جبر، ١٩٦١، ص١٨١). ولا تكشف العبارة عن موقف أخلاقي يسير، بل عن محاولة الشخصية إعادة تعريف الوفاء انطلاقًا من تجربتها الخاصة، بعد أن وجدت نفسها أمام قيم متعارضة لا تستطيع التوفيق بينها بسهولة. وبذلك يصبح خليل أمام سؤال وجودي يتعلق بالاختيار: أيكون وفيًّا لالتزامه تجاه ثريا أم يستجيب لحاجته الإنسانية إلى الحب والحياة؟ ولا تقدِّم الرواية هذا الصراع في صورة إجابة أخلاقية جاهزة، وإنما تترك الشخصية تواجه تعقيدات اختيارها وما يترتب عليه من شعور بالذنب وتأنيب الضمير. ومن هنا تتجلى الحرية بوصفها عبئًا؛ لأنَّ خليل لا يستطيع أن يتخلى عن مسؤوليته عن قراره، مهما حاول تبريره بالظروف أو بالحاجة الإنسانية.

ترتبط أزمة خليل أيضًا بعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه. فهو يشعر بأنَّ حياته محكومة بالرتابة، وأنَّ البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها لا تشجع على التغيير والإبداع، بل تدفع المرء إلى الاستمرار في نمط مألوف يخشى الخروج عنه. ويعمل خليل محاسبًا في شركة ضمان، ويمارس حياته اليومية في إطار من التكرار الذي يجعله يشعر بأنه يعيش على هامش الحياة.

لذا، فإنَّ عبارته المتكررة «أريد أن أفعل شيئًا» (جبر، ١٩٦١، ص١٦٦) تكشف عن نزوع إلى تجاوز هذا الوجود الرتيب، وعن رغبة في الانتقال من مجرد العيش اليومي إلى وجود أكثر فاعلية ومعنًى. ويصبح التمرد على الرتابة شكلًا من أشكال البحث عن الذات؛ لأنَّ خليل لا يريد أن يكون مجرد فرد يؤدي وظيفة ويكرر يومه، وإنما يريد أن يشعر بأنه قادر على الفعل والتغيير.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

وتتخذ علاقته بثريا، في هذا السياق، معنًى يتجاوز الحب، فهي تمثِّل له خروجًا من دائرة الحياة المكررة، ومحاولةً لاستعادة إحساسه بالحياة بعلاقة تمنحه تجربة مختلفة عن واقعه المعتاد. ولذلك يمكن النظر إلى هذه العلاقة على أنها محاولة من الشخصية لاستعادة ذاتها وإثبات قدرتها على الاختيار.

تتجمع مختلف الصراعات السابقة في علاقة خليل بذاته؛ إذ يجد نفسه ممزقًا بين صور متعددة لذاته: الإنسان الذي يريد التغيير، والعاشق الذي يريد الاحتفاظ بحبيبته، والرجل الذي يشعر بمسؤوليته تجاهها، والإنسان الذي يكتشف حاجته إلى حياة عاطفية جديدة. ومن هنا يصبح الصراع الداخلي لدى خليل أعمق من مجرد التردد بين امرأتين؛ إنه صراع بين قيم واحتياجات متعارضة، وبين صورة الذات التي يريد أن يكونها والواقع الذي يجد نفسه فيه. ويكشف هذا الصراع عن وعي الشخصية بثقل الاختيار؛ إذ لا يستطيع خليل أن يتخذ قرارًا دون أن يواجه تبِعاته الأخلاقية والإنسانية. وبذلك يتجسد القلق الوجودي في شخصية خليل بوصفه نتيجةً لوعي الإنسان بحريته ومسؤوليته، لا نتيجةً للخوف من ظرف خارجي محدد. فالشخصية لا تعاني غياب الخيارات، وإنما صعوبة الاختيار واستحالة التخلص من المسؤولية التي تترتب عليه. ولذلك يغدو القلق ملازمًا لمسارها؛ لأن كل اختيار يستدعي اختيارًا آخر ويضع الذات أمام نتائج أفعالها.

ثريا: تتشكَّل شخصية ثريا في ظل تجربة اجتماعية ونفسية قاسية، نتيجة تخلي زوجها عنها وتهديدها بفقدان ابنتها ومعاناتها الفقر، ثم ما يترتب على الحادث من عجز جسدي. وقد أسهمت هذه الظروف في تشكيل وعيها بذاتها وبجدوى وجودها، وهو ما يتجلى في تساؤلها: «إلى متى أبقى عالة على الغير، بلا معنى، بلا جدوى، بلا أمل» (جبر، ١٩٦١، ص١٢٧). فالسؤال لا يعبِّر عن ضيق مادي فحسب، وإنما يكشف عن أزمة أعمق تتصل بقيمة الوجود وجدواه.

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

ويبلغ الصراع الوجودي لدى ثريا ذروته في علاقتها بذاتها. فهي واعية بواقعها وبحالتها، لكنها لا تجد في هذا الواقع ما يمنح حياتها معنًى واضحًا. ويعبِّر قولها: «بلا معنى، بلا جدوى، بلا أمل» (جبر، ١٩٦١، ص١٢٧)، عن انكشاف مؤلم لفراغ الحياة من غايتها.

٤.٤ محاور الصراع الوجودي في رواية "قلق"

يكشف تحليل دوائر العلاقات في رواية «قلق»، عن مجموعة من المحاور التي تتضافر في بناء الشخصيات الرئيسة. ويأتي في مقدمتها الصراع مع الرتابة وفقدان المعنى، ويتجلى بصورة خاصة في شخصية خليل الذي يشعر بأنَّ حياته اليومية تكرار لا يحقق له ذاته، فيسعى إلى فعل شيء يمنحه إحساسًا بالحياة. كما يبرز الصراع بين الحب والمسؤولية في علاقة خليل بثريا، حيث تتحول العلاقة من فضاءٍ للحُبِّ إلى اختبار لقدرة الشخصية على الوفاء وتحمل تبعات الاختيار.

ويظهر أيضًا الصراع بين الحرية والالتزام؛ إذ يجد خليل نفسه أمام خيارات لا يمكنه اتخاذها دون أن يواجه نتائجها، فيصبح القلق نابعًا من ثقل الحرية ذاتها. أمَّا لدى ثريا، فيتجسد الصراع بين الوعي بالذات والعجز عن الفعل، فهي تدرك بؤس واقعها وفقدان المعنى، لكنها لا تمتلك الوسائل الكافية لتحويل هذا الوعي إلى مشروع جديد للحياة.

وتتداخل هذه الصراعات جميعًا مع الصراع بين الفرد والمجتمع، حيث تعاني الشخصيات واقعًا اجتماعيًّا يحدُّ من إمكاناتها، ويجعل تحقيق الذات أمرًا عسيرًا؛ ومن ثَمَّ، لا تبدو أزمات الشخصيات منفصلة عن محيطها، وإنما تتشكل في المسافة الفاصلة بين ما تطمح إليه الذات وما يسمح به الواقع.

وبذلك يتضح أنَّ بناء الشخصية في رواية «قلق» يقوم على حركة مستمرة بين الرغبة والعجز، والاختيار والمسؤولية، والبحث عن المعنى وفقدانه، وهي حركة تجعل الشخصية الروائية فضاءً لتجسيد أزمة الإنسان في علاقته بذاته وبالآخر وبالعالم. ومن هنا يتخذ عنوان الرواية «قلق» دلالته العميقة؛ إذ لا يحيل القلق

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

إلى حالة عابرة، وإنما إلى بنية داخلية تتشكل من وعي الإنسان بحريته، وبحدود وجوده، وبصعوبة العثور على معنًى يمنح اختياراته اتجاهًا واضحًا.

٥. القراءة التأويلية الفلسفية

لا تقف القراءة الفلسفية لروايتَي «بعد العاصفة» و«قلق» عند رصد تجلِّيات المفاهيم الوجودية، بل تسعى إلى الكشف عن ترابطها في تجربة الشخصيات، ولا سِيَّما ما يتصل بالحرية والاختيار والمسؤولية والقلق والبحث عن المعنى، مستعينةً ببعض المفاهيم الأساسية في فلسفة «جان بول سارتر».

١.٥ الحرية والمسؤولية: جدلية الاختيار والوجود

تشكِّل الحرية إحدى الركائز الأساسية في التصور الوجودي للإنسان، وهي عند «سارتر» ليست امتيازًا عرضيًّا، وإنما هي وضع وجودي ملازم للإنسان؛ فالإنسان لا يوجد أولًا ثم يكتسب حريته، بل يتحدد وجوده من اختياراته ومواقفه. ومن هنا ترتبط الحرية بالمسؤولية ارتباطًا وثيقًا؛ لأنَّ اختيار الإنسان لا ينفصل عن تحمُّله نتائج ما اختاره.

وفي كتابات جميل جبر تتخذ الحرية هذا البُعد الوجودي الواضح؛ إذ يرى الإنسان قادرًا على صناعة ذاته واتخاذ موقفه تحقيقًا لوجوده. وحين يكتب صارخًا: «أكون سيد نفسي أو أموت» (جبر، ١٩٥٤، ص١٣١)، فإنه لا يعلن مجرد رغبة في التحرر من سلطة خارجية، بل يربط وجود الإنسان بقدرته على أن يكون صاحب قراره. فأنْ يكون الإنسان «سيد نفسه» يعني أنْ يرفض الوجود الذي يُفرَض عليه من الخارج، وأنْ يتمسك بحقه في الاختيار، في حين أنَّ التخلي عن الحرية يصبح، في المنظور الوجودي، تخليًا عن الذات نفسها.

ويتعزز هذا المعنى في قوله: «لماذا كل هذا التحفظ؟ ألسنا أحرارًا؟!» (جبر، ١٩٦١، ص٨٦)؛ إذ تكشف العبارة عن مواجهة بين الرغبة في الاختيار وبين القيود الاجتماعية التي تحدُّ من ممارسة الحرية. ولا تبدو

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

الحرية هنا تحررًا من كل قيد فحسب، وإنما وعيًا بالقدرة على اتخاذ موقف تجاه القيود المفروضة وتحمُّل مسؤوليتها؛ غير أنَّ جميل جبر لا يغفل التناقض بين امتلاك الحرية من حيث المبدأ والقدرة على ممارستها في الواقع، وهو ما يظهر في قوله: «أنَّى لمثل هذا البشريِّ أن يكون حرًّا! أيُّ معنًى لإمكانية الحرية إنْ لم تقترن بإمكانية التحقق؟ هذا الأعمى حرٌّ بأن يرى النور، ولكن كيف يراه؟!» (جبر، ١٩٦١، ص١٣).

فالإنسان قد يكون حرًّا في إمكانية الاختيار، لكنه يجد نفسه محاصرًا بشروط اجتماعية ونفسية وواقعية تحول دون تحويل هذه الإمكانية إلى فعل. ومن هنا يبرز التوتر بين الحرية والواقع، وهو توتر يمكن قراءته في ضوء مفهوم «الوقائعية» لدى «سارتر»، و«هي العلاقة الضرورية القائمة بين ما هو لذاته، وبين ما في ذاته... وهي التي تمكِّننا من أن نقول إنَّ ما هو –لذاته– يكون أو يوجد. ووقائعية الحرية مثلًا هي كون الحرية لا يمكن ألا تكون حرة». (سارتر، ١٩٦٦، ص٦).

وإذا كانت الحرية تضع الإنسان أمام إمكانات متعددة، فإنها في الوقت نفسه تحمِّله مسؤولية اختياراته؛ لذلك تأتي عبارة «إني مسؤول عمَّا فعلتُ» (جبر، ١٩٥٤، ص٨١)، لتجسد هذا الجانب من التجربة الوجودية. فالشخصية لا تلجأ إلى تبرير أفعالها أو إلقاء مسؤوليتها على الآخرين، وإنما تقف أمام ذاتها بوصفها صاحبة قرار. وهنا يلتقي تصوُّر جميل جبر مع الفكرة «السارترية» التي تجعل الحرية والمسؤولية وجهين لحقيقة وجودية واحدة؛ وهي «أنَّ الإنسان، لما كان محكومًا عليه أن يكون حرًّا، فإنه يحمل على عاتقه عبء العالم كله، إنه مسؤول عن نفسه بوصفه حالة وجود... وهذه المسؤولية المطلقة ليست قبولًا: إنها مجرد مطالبة منطقية بنتائج حريتنا» (سارتر، ١٩٦٦، ص٨٧٣)؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يطالب بحريته ثم يتنصل من نتائجها.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

ومن ثَمَّ، فإنَّ السؤال الذي تطرحه الرواية ليس: هل الإنسان حر؟ بقدر ما هو: كيف يمارس الإنسان حريته في عالم تحاصره القيود؟ وكيف يتحمل نتائج اختياراته حين تصبح الحرية نفسها عبئًا وجوديًّا؟ ومن هنا تبدأ علاقة الحرية بالقلق.

٢.٥ القلق الوجودي وانكشاف العدم

إذا كانت الحرية تضع الإنسان أمام إمكانات الاختيار، فإنها تكشف له في الوقت نفسه أنه مسؤول عن وجوده، وأنه لا يستطيع الاتكال بصورة نهائية على معنًى جاهز أو مصير محدد سلفًا. ومن هنا يتولد القلق الوجودي الذي يشكِّل أحد أبرز المكونات الفكرية في روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق».

ويتجلى هذا القلق في قول جميل جبر: «يفوتك اليوم، وعيناك: عينٌ تحلم بغدٍ وعينٌ على الأمس تبكي. هل العمر إلا إطلالة ويعقبها غروب؟» (جبر، ١٩٦١، ص٢١). فالشخصية تبدو موزعة بين ماضٍ يستدعي الأسى ومستقبل يحمل الوعد والانتظار، في حين يتفلت الحاضر بينهما، ولا يعود الزمن مجرد عنصر سردي، بل يتحول إلى مصدر لتأمُّل المصير الإنساني وفناء الوجود.

ويتأكد هذا القلق في قوله: «أليس غبنًا أن تجرَّ الحاضر جرًّا بانتظار غدٍ تُتخمك فيه الأطايب؟!» (جبر، ١٩٦١، ص٢١)؛ إذ يكشف الانتظار عن عجز الإنسان عن الاطمئنان إلى المستقبل.

ومن هنا، يتصل القلق بالوعي بالموت والفناء، كما في قول شخصية نهاد: «إنَّ حياتي ستنتهي من تلقائها» (جبر، ١٩٥٤، ص٢١). فالموت ليس حادثًا خارجيًّا يطرأ على الحياة، بل حقيقة ملازمة للوجود الإنساني، ووعي الإنسان بهذه الحقيقة يجعله أكثر مواجهة لهشاشة وجوده. ويأخذ هذا القلق صورة أكثر عمقًا في عبارة: «أرسلت إلى البحر نظرة أسًى مبهم» (جبر، ١٩٥٤، ص٥٢)، حيث يتحول البحر إلى فضاء رمزي يعكس غموض الداخل الإنساني. فالشخصية لا تستطيع تحديد مصدر ألمها بصورة نهائية، كأنَّها تواجه فراغًا داخليًّا لا يمكن اختزاله في سبب واحد. ومن هذا القلق يتولد السؤال عن المعنى! فإذا كان الإنسان

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

فانيًا، وإذا كان المستقبل غير مضمون، وإذا كانت الحياة لا تقدِّم إلى الإنسان معنًى جاهزًا، فما الذي يجعل وجوده جديرًا بالاستمرار؟

٣.٥ الاغتراب والفراغ الوجودي والبحث عن المعنى:

يقود القلق، في الروايتين، إلى حالة من الاغتراب والفراغ الوجودي. ويظهر ذلك بوضوح في شخصية خليل في بداية رواية «قلق»، حين يكون همُّه الذهاب إلى أي مكان: «لا فرق إلى أين، شرط أنْ ينجو من وحدته، أنْ يفلت من خناق الضجر». (جبر، ١٩٦١، ص١٢). فعدم اكتراثه بالوجهة يكشف أنَّ المشكلة ليست في المكان، وإنما في الذات التي فقدت غايتها. إنَّ خليل لا يبحث عن مكان جديد بقدر ما يحاول الهروب من فراغ داخلي أصبح أكثر حضورًا من العالم المحيط به.

ويتعمق هذا الفراغ في قوله: «عاد إلى بيروت... عاد إلى مواجهة إحساسه بتفاهة وجوده» (جبر، ١٩٦١، ص٢٠٠). فالعودة هنا ليست مجرد عودة جغرافية، وإنما عودة إلى الذات ومواجهة مباشرة للسؤال الوجودي. وفي هذه المواجهة ينكشف للإنسان فراغ وجوده حين لا يجد معنًى جاهزًا يتكئ عليه.

ويتجسد الاغتراب بصورة أوضح في شخصية ثريا التي «استبدَّ بها شبح الوحشة، شبح وجودها بلا جذور» (جبر، ١٩٦١، ص٤٦). فالجذر هنا يتجاوز دلالته المكانية ليصبح رمزًا للانتماء والاستقرار والمعنى. وحين يتوارى هذا الجذر، تجد الذات نفسها معلَّقةً في فضاء من الوحدة والاغتراب.

ويتكرر هذا المعنى في قول خليل: «بقي لي هذا الجذر فتوارى. صرتُ وحدي... وحدي... يلفُّني الفراغ حتى أهدابي، وينحرني القلق: قلق إلى يومي، وإلى غَدِي وإلى ما بعد غَدِي...» (جبر، ١٩٦١، ص١٥٠). فالفراغ هنا ليس مجرد غياب للأشخاص أو المكان، وإنما فراغ في المعنى، في حين يمتد القلق من الحاضر إلى المستقبل، بما يكشف عن وعي الذات بمصيرها الفردي.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

غير أنَّ جميل جبر لا يجعل الإنسان متوقفًا عند لحظة الفراغ؛ فالوعي بانعدام المعنى يتحول إلى بحث عنه. ويتضح ذلك في قوله: «وجدتُ فيك مبرّرًا لاستمرار وجودي بعد أن ثقل عليَّ عبء الوجود» (جبر، ١٩٥٤، ص١٥٣).

ومن ثَمَّ، لا يكون البحث عن المعنى عودة إلى معنًى جاهز، بل محاولة لبناء معنًى شخصيٍّ في عالم لا يقدِّم ضمانات نهائية، ويبرز ذلك في نهاية رواية «قلق»، حين يحوِّل الكاتب قلقه إلى كتابة، فيعصر تجربته ويجعلها «حبرًا وأصباغًا». وهنا ينتقل الوجود من مجرد المعاناة إلى فعل الإبداع؛ فالكتابة تصبح اختيارًا لمواجهة الفراغ، وتحويل القلق إلى فعل مُنتِج للمعنى.

٤.٥ الموت والعدم: من التشاؤم إلى الرغبة في الفناء

يتصل الوعي بالموت في الروايتين بالقلق والفراغ والاغتراب، ويأخذ أحيانًا صورة تشاؤمية حادة. فقول الشخصية: «لماذا أتوقع دائمًا أسوأ العواقب؟» (جبر، ١٩٦١، ص١٠٦)، يكشف عن نظرة مشوبة بالخوف من المستقبل، كما يحمل قولها: «أخشى أن تكون قد صارت في غير دنيا» (جبر، ١٩٦١، ص١٠٩) وعيًا مؤلمًا بإمكان الغياب والفناء.

وتبلغ هذه النظرة ذروتها في الرغبة في الموت، ولا سِيَّما لدى ثريا، التي «استبدَّ بها شبح الوحشة... سارت لا تعرف إلى أين، ولا تبصر إلا الفراغ المتضخم... اجتذبها البحر المضطرب... ارتمت في اليَمِّ لتستريح» (جبر، ١٩٦١، ص٤٦). فالموت هنا يأتي بوصفه نتيجة لتراكم الوحدة والاغتراب والفراغ، لا بوصفه حادثة منفصلة عن البناء النفسي للشخصية.

وتتكرر الرغبة في الفناء في قولها: «ما أحلى أن تبتلعني الأمواج» (جبر، ١٩٦١، ص٣٩)، حيث تتحول الأمواج إلى صورة رمزية للعودة إلى العدم والخلاص من الألم.

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

لذلك يمكن القول إنَّ الرغبة في الموت لدى شخصيات جميل جبر تكشف بلوغ الأزمة الوجودية أقصى درجاتها، حين تعجز الذات عن إنتاج معنًى لاستمرارها. ومن هنا، تصبح النظرة التشاؤمية نتيجة من نتائج الوعي بالفناء والفراغ، وليست غاية التجربة الوجودية. فالرواية لا تنتهي عند الموت، وإنما تفتح إمكانًا آخر وهو مقاومة العدم بالفعل والاختيار.

٥.٥ الصراع مع الواقع والتمرد: استعادة الحرية وصناعة المعنى

يتجسد الصراع الوجودي في الروايتين في المواجهة بين إرادة الإنسان وبين الواقع الذي يحدُّ إمكاناته. ولذلك فإنَّ عبارة ثريا: «يوم شئتُ أن أموت أُرغمت على الحياة وأراني أموت حين شئتُ أن أعيش» (جبر، ١٩٦١، ص١١٣)، تكشف عن مفارقة مؤلمة بين ما تريده الذات وما يفرضه عليها الواقع. ويمكن قراءتها بوصفها صراعًا بين الحرية والوقائعية؛ فالإنسان يجد نفسه داخل ظروف لم يخترها، لكنه يظل مطالَبًا باتخاذ موقف منها. وهنا تتحدد قيمة التمرد بوصفه فعلًا صادرًا عن الوعي بالحرية.

فالتمرد في التجربة الوجودية التي يقدِّمها جميل جبر، لا يعني مجرد الثورة على المجتمع، وإنما يعني رفض أنْ تتحول الظروف الخارجية إلى مصير نهائي للإنسان. ولذلك يظهر التمرد في مواجهة القيم الاجتماعية التي تقيد الفرد، وفي رفض الخضوع لوجود لم يختره بنفسه.

وتبلغ هذه الفكرة ذروتها في نهاية «قلق»، حيث لم يستسلم الإنسان للفراغ، ولم يجعل الموت خاتمةً لأزمته، بل حوَّل القلق إلى كتابة. ومن هنا تصبح الكتابة نفسها فعلَ تمردٍ؛ فالكاتب لا يستطيع تغيير العالم بالضرورة، لكنه يستطيع أن يختار موقفه منه، وأن يحوِّل تجربته إلى فعل إبداعي يمنح وجوده دلالة.

وبذلك ينتقل التمرد من مجرد رفض للواقع إلى فعل إيجابي يؤكد قدرة الإنسان على صناعة ذاته. فالإنسان، وإنْ لم يختر شروط وجوده الأولى، يظل قادرًا على اختيار موقفه منها، وعلى تحويل القلق إلى وعي، والفراغ إلى بحث، والمعاناة إلى إبداع.

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

وفي هذا المستوى تتقاطع تجربة «جميل جبر» مع جوهر الرؤية عند «سارتر» التي تجعل الإنسان مشروعًا مفتوحًا على ما يختاره ويصنعه.

٦. النتائج ومناقشتها

في ضوء التحليل السابق لتجلّيات القلق الوجودي في روايتَي «بعد العاصفة» و«قلق»، توصَّلنا إلى مجموعة من النتائج التي تكشف طبيعة حضور هذا القلق، وتطوُّره في الروايتين، ودوره في التعبير عن أزمة الإنسان المعاصر. وفيما يأتي عرضٌ لأبرز هذه النتائج ومناقشتها في ضوء إشكالية الدراسة وتساؤلاتها.

أظهرت نتائج البحث أنَّ الفلسفة الوجودية في روايات «جميل جبر» لا تقتصر على حضور مجموعة من المفاهيم الفلسفية المتفرقة، وإنما تتجلى بوصفها رؤية فكرية متكاملة تنتظم في البناء السردي وتوجِّه مسار الشخصيات والأحداث.

كما كشفت الدراسة أنَّ الشخصيات الرئيسة تعيش القلق بوصفه تجربة داخلية متنامية، تعبِّر عن أزمة الإنسان المعاصر، تبدأ من الإحساس بالضيق والاغتراب والقيود، ثم تتطور إلى مواجهة الذات والمصير والموت وسؤال المعنى. ففي رواية «بعد العاصفة» يرتبط القلق بدرجة واضحة بالواقع الاجتماعي والعلاقات والقيود التي تحدُّ من حرية الفرد، في حين يبدو في رواية «قلق» أكثر التصاقًا بالذات؛ إذ تتحول الشخصية إلى موضوعٍ لتساؤلها الخاص عن وجودها ومصيرها وقيمة حياتها. وبذلك لا يكون القلق مجرد شعور يرافق الشخصيات، بل قوة فاعلة في تشكيل وعيها وتوجيه مساراتها. ومن ثَمَّ، يمكن الحديث عن تطور في تمثُّل القلق الوجودي، من أزمة مرتبطة بالواقع إلى أزمة تتصل بجوهر الوجود الإنساني ذاته، الأمر الذي يعكس تطوُّرًا واضحًا في رؤية الكاتب الفكرية والفنية لوضع الإنسان الحديث والمعاصر.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

كما كشفت الدراسة، في الإجابة عن التساؤل المتعلق بدور الحرية والموت والعبث والاغتراب والتمرد وانعدام المعنى في بناء القلق الوجودي، أنَّ هذه الثيمات لا تعمل بصورة منفصلة، وإنما تنتظم في شبكة دلالية واحدة. فالحرية تضع الإنسان أمام ضرورة الاختيار وتحمُّل المسؤولية، ومن هنا يتولد القلق، ويكشف القلق بدوره هشاشة الوجود وغياب المعنى الجاهز، فيفضي إلى الاغتراب والفراغ والبحث عن معنًى بديل. ويأتي الموت بوصفه الحد الأقصى لهذا الوعي، في حين يمثل التمرد محاولة لمقاومة الاستسلام للعبث واستعادة قدرة الذات على الفعل. وبذلك تكشف الروايتان عن بناء دائري للقلق الوجودي، يبدأ من وعي الإنسان بحريته وينتهي إلى محاولة إعادة بناء معنى وجوده.

وتشير هذه النتيجة إلى تقاطع واضح بين التجربة الروائية عند جميل جبر وبعض المرتكزات الأساسية في الفكر الوجودي «السارتري»، ولا سِيَّما في الربط بين الحرية والمسؤولية والقلق، وفي النظر إلى الإنسان بوصفه كائنًا لا يستمد معناه من ماهية ثابتة أو غاية مفروضة عليه سابقًا، وإنما يشارك في تشكيل وجوده من اختياراته وأفعاله. غير أنَّ هذا التقاطع لا يعني أنَّ جميل جبر يتبنى الوجودية «السارترية» بصورة حرفية؛ إذ تكشف الروايتان عن إعادة صياغة هذه الأسئلة داخل سياق اجتماعي واقعي، وإنساني لبناني، بما يمنحها خصوصيتها الأدبية والفكرية.

أما على مستوى الفرضية الرئيسة للدراسة، فقد أكدت النتائج أنَّ القلق الوجودي يشكِّل بالفعل محورًا أساسيًّا في الروايتين، وأنَّه يتجلى في بناء الشخصيات وفي مساراتها الفكرية والنفسية، ولا سِيَّما من خلال الاغتراب والبحث عن المعنى والصراع مع الواقع والمصير. غير أنَّ الدراسة تكشف في الوقت نفسه أنَّ هذا القلق لا يقود الشخصيات جميعها إلى النتيجة نفسها! فبينما يبلغ لدى بعض الشخصيات حد الرغبة في الموت بوصفه خلاصًا من الألم والفراغ، يتجه في تجربة أخرى إلى التمرد والاستمرار وتحويل المعاناة

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

إلى فعل إبداعي. وتكتسب «الكتابة» في نهاية رواية «قلق»، دلالة خاصة في هذا السياق؛ إذ تتحول من مجرد وسيلة للتعبير، إلى محاولة لصناعة معنًى في مواجهة الفراغ.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى استجلاء تجليات الفكر الوجودي في روايتَي: «بعد العاصفة» و«قلق»، بتوظيف منهج مركَّب، من البنيوي السردي والتأويلي الفلسفي، في ضوء التصور الوجودي عند «سارتر». وقد أثبتت الدراسة أنَّ الوجودية تشكِّل أحد المرتكزات الفكرية الأساسية في المشروع الروائي للكاتب، وأنها تتجلى عبر مفاهيم الحرية، والقلق، والاغتراب، والاختيار، والبحث عن المعنى، ضمن بناء سردي متماسك تندمج فيه الرؤية الفلسفية مع البنية الفنية. كما كشفت الدراسة عن تطور واضح في معالجة جميل جبر للقضايا الوجودية؛ إذ انتقل من تصوير القلق بوصفه انعكاسًا للواقع الاجتماعي في رواية «بعد العاصفة»، إلى أن أصبح في رواية «قلق» أكثر التصاقًا بالذات، حيث تتحول الشخصية إلى موضوع لتساؤلها الخاص عن وجودها ومصيرها وقيمة حياتها. وبذلك تجيب الدراسة عن إشكاليتها الرئيسة، فتؤكد أنَّ القلق الوجودي في الروايتين، يتطور من قلقٍ فرضَته التحولات التاريخية والاجتماعية إلى قلقٍ فلسفي متصل بالذات وبسؤال الوجود والمعنى. ويكشف عن رؤية جميل جبر للإنسان المعاصر بوصفه كائنًا حرًّا ومسؤولًا، يعيش صراعًا دائمًا بين الحرية والالتزام، وبين الرغبة في تحقيق الذات والحفاظ على القيم التي تمنح الوجود معناه الحقيقي.

وأسهمت هذه الدراسة في إبراز جانب لم يحظَ بالعناية الكافية في الدراسات السابقة، من خلال قراءة أعمال «جميل جبر» في ضوء الفلسفة الوجودية، وفتحت المجال أمام دراسات لاحقة تتناول حضور الفكر الوجودي

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

في الرواية اللبنانية والعربية، وأمام مقاربات نقدية وفلسفية جديدة، تتجاوز حدود هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين الأدب اللبناني والفكر الوجودي في أبعاده الإنسانية والجمالية والثقافية.

ومن هذا المنطلق، يمكن أن تنطلق دراسات لاحقة للإجابة عن مجموعة من التساؤلات، من أبرزها:

- إلى أي مدى تتقاطع رواية «قلق» لـ«جميل جبر» مع رواية «الغثيان» لـ«جان بول سارتر» في تمثيل القلق الوجودي والعبث والبحث عن المعنى؟ وأين تتجلى خصوصية كل منهما؟
- ما أثر الحرب والواقع الاجتماعي اللبناني في تشكُّل الرؤية الوجودية عند «جميل جبر»، مقارنةً بالأصول الفلسفية للوجودية الأوروبية؟
- ما موقع المرأة في الخطاب الوجودي عند «جميل جبر»؟ وهل تؤدي الشخصيات النسائية دورًا موازيًا للشخصيات الذكورية في تجسيد أسئلة الحرية والاختيار والمسؤولية؟
- وبذلك يبقى عالم «جميل جبر» الروائي، فضاءً مفتوحًا للحوار بين الأدب والفلسفة، وبين التجربة الإنسانية وأسئلتها الوجودية، مؤكِّدًا أنَّ النصوص الكبرى لا تنتهي دلالاتها، بل تظل قادرة على استدعاء قراءات جديدة.

المصادر والمراجع العربية

- جبر، جميل (١٩٥٤). **بعد العاصفة** (ط١). بيروت: دار الروائع.
- ـــــــــــ (١٩٦١). **قلق** (ط١). بيروت: منشورات دار الطليعة.
- ـــــــــــ (شباط ١٩٥٨). «القلق الوجودي في القصة العربية». **مجلة السنابل**.
- بدوي، عبد الرحمن (١٩٨٠). **دراسات في الفلسفة الوجودية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

- جرجور، مهى، تنسيق مهى جرجور وتحرير جوزف لبّس (٢٠٢٠). **دليل مناهج البحث العلمي** في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة اللبنانية [طبعة إلكترونية].
- خضري، عليٌّ (٢٠٢١). «ملامح الوجودية وتمظهراتها في شعر بدر شاكر السياب». **مجلة العلوم الإنسانية** (المجلد ٣٢، عدد ١، من ص: ٤١-٥١). تمَّ الاسترجاع في: (٢٧-٦-٢٠٢٦)، من: https://asjp.cerist.dz/en/article/150493
- الحفني، عبد المنعم (لا ت). **الوجودية في حياة سارتر وفلسفته**. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- عرباجي، أشواق (٣٠-٦-٢٠٢٤). «مظاهر الوجودية في رواية لحظات لا غير، لفاتحة مرشيد». **دليل الآداب واللغات** (مجلد ٣، من ص: ٥١-٦٣). تمَّ الاسترجاع في: (٢٦-٦-٢٠٢٦)، من: https://asjp.cerist.dz/en/downArticle/851/3/1/248706
- علاوي، بثينة (١٦-٩-٢٠٢٥). «الاغتراب الوجودي بين فرانز كافكا في رواية المسخ، ونجيب محفوظ في رواية اللص والكلاب». **جسور المعرفة**، (مجلد ١١، عدد ٣، من ص٩٣٨-٩٥١). تمَّ الاسترجاع في: (٢٠- ٨-٢٠٢٦).
- سارتر، جان بول (١٩٦٦). **الوجود والعدم: بحث في الأنطولوجيا الظاهراتية**. تر. عبد الرحمن بدوي. بيروت: منشورات دار الآداب.
- ـــــــــــ (٢٠٠٩). **الكينونة والعدم** (ط١). تر. نقولا متيني. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (١٩٤٣).
- ـــــــــــ (٢٠١٢). **الوجودية منزع إنساني** (ط١). تر. محمد نجيب عبد المولى وزهير المدنيني. تونس: دار محمد علي للنشر. (١٩٤٦).

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

- ـــــــــــــ (لا ت). **الوجودية مذهب إنساني**، قدَّم له كمال الحاج. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- عفيفي، رفعت زكي محمود (١٩٩٢). **المدارس الأدبية الأوروبية وأثرها في الأدب العربي**. القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- فلين، توماس آر (٢٠١٤). **الوجودية** (ط١). تر. مروة عبد السلام. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر. (٢٠٠٦).
- ماكوري، جون (١٩٨٢). **الوجودية**. تر. إمام عبد الفتاح إمام. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- مجموعة من الأدباء (٢٠١٣). **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، (ط٤). بيروت: دار المشرق.

ملحق بالمصطلحات

– التركيز على حرية الإنسان: «القيمة الأسمى للفكر الوجودي، هي الحرية». (فلين، ٢٠٠٦/٢٠١٤، ص١٠). الإنسان حرٌّ يستطيع أن يصنع نفسه ويتخذ موقفه كما يبدو له تحقيقًا لوجوده الكامل. «والحرية يصحُّ اعتبارها تعريفًا للإنسان. وإننا إذ نريد أن نجعل حريتنا هدفًا نسعى إليه، لا يسعنا إلا أن نعتبر حرية الآخرين هدفًا هو أيضًا نسعى إليه» (سارتر، لا ت، ص٨٢).

– الدعوة إلى الجدية وتحمُّل المسؤولية. «المسؤولية بنت الحرية». (الحفني، لا ت، ص١٠١). نحن نولد «مخلوقات بيولوجية، لكننا يجب أن نصبح أفرادًا وجوديين عن طريق تحمُّل مسؤولية أفعالنا...» (فلين، ٢٠٠٦/٢٠١٤، ص١٠). «وأول ما تسعى إليه الوجودية هي أن تضع الإنسان بوجه حقيقته، وأن تحمِّله بالتالي المسؤولية الكاملة لوجوده». (سارتر، لا ت، ص٤٦).

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

- الاغتراب: الاغتراب الوجودي هو عندما يشعر الإنسان بالانفصال عن ذاته وعن العالم، نتيجة إحساسه بالعزلة وفقدان المعنى. ويكمن الاغتراب الوجودي «في أعماق روح الإنسان، بحيث يصبح من المستحيل التحرر منه أو التخلص منه بشكل كامل، رغم محاولات الفرد السعي نحو الحرية، فإنه يجد نفسه محاطًا بحالة اغتراب مستمرة، تتجسد في علاقاته المتنوعة داخل مجتمعه» (علاوي، ٢٠٢٥، ص٩٤٢).
- غياب المعنى المطلق، والبحث عن المعنى: «الوجود يخلق الجوهر: ما أنت عليه (جوهرك) هو نتاج اختياراتك (وجودك) وليس العكس. الجوهر ليس المصير؛ فأنت من تختار لنفسك ما تكون عليه» (فلين، ٢٠١٤/٢٠٠٦، ص٢١). يرى الوجوديون أنَّ الحياة لا تحمل معنًى جاهزًا أو مطلقًا، وإنَّما الإنسان هو من يصنع معنًى لوجوده من اختياراته.
- العدم: «في الفلسفة الوجودية لا يُنظر إليه على أنه الافتقار إلى الوجود، بل على أنه مرتبط بالوجود بعلاقة». (سارتر، ١٩٦٦، ص٩). وعند سارتر «إنَّ العدم تالٍ على الوجود، لكنه يلاحق الوجود». (سارتر، ١٩٦٦، ص٩).
- الوقت هو الجوهر: «نحن أساسًا كائنات مرتبطة بالزمن. وعلى عكس زمن الساعة القابل للقياس، فإنَّ الوقت المُعاش كيفيٌّ؛ فمصطلحات زمنية، مثل: (ليس بعد، وبالفعل، والحاضر) تختلف فيما بينها في المعنى والقيمة». (فلين، ٢٠١٤/٢٠٠٦، ص٢١).
- التمرد على القيم التقليدية والدعوة إلى نبذ المعتقدات والأفكار والترسبات الماضية وضغوط المجتمع، واعتبار التمرد ثورة مشروعة لا تتنافى مع القيم الإنسانية؛ لأنَّها تفرض قيودًا على حرية الفرد أو تُملي عليه طريقة عيشه.

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

- الإنسانية: الوجودية فلسفة تركز على الإنسان. وعلى الرغم من أنَّها لا تعارض العلم، ينصبُّ تركيزها على بحث الذات الإنسانية عن الهوية والمعنى وسط الضغوط الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الكبير الساعية لفرض السطحية والامتثال للتقاليد» (فلين، ٢٠١٤/٢٠٠٦، ص٢١).
- الفردية: تُعَدُّ الـ«فردية» أحد المفاهيم الأساسية عند الوجوديين. وهي تشير إلى أنَّ الإنسان يوجد أولًا، ثم يصنع ماهيته بنفسه من اختياراته وأفعاله، فيعيش وجوده واختياراته بحرية، من دون الاعتماد على القوالب الجاهزة. ويرى «كيركغارد» أنَّ الإنسان يمر في حياته الوجودية عبر ثلاث دوائر وجودية شكَّلها «ليتعقَّب عملية التحول إلى الفردية...» (جمالية وأخلاقية ودينية)، (فلين، ٢٠١٤/٢٠٠٦، ص٢٧)، ولكل مرحلة نموذجها الخاص. وتصل الفردية إلى ذروتها في المرحلة الدينية، حين يقف الإنسان وحيدًا أمام الله، بلا قوانين عامة، ولا تبريرات، فتظهر ذات الإنسان الحقيقية، أي ذاته المؤمنة والحرة والمسؤولة.
- الموت: «الموت لا متيقَّن ومتوقَّع الحدوث في أية لحظة»، (بدوي، ١٩٨٠، ص٨٢)، ويؤثر في قراراتنا الفردية. فالموت يُدرَك «لا على أنَّه حادث تجريبي معمَّم بل على أنَّه مهمة أو فعل».
- و«الموت تحطيم للحياة وقضاء عليها» (بدوي، ١٩٨٠، ص٩٣). «ويقول هايدجر: إنَّ هذا الوجود هو بطبعه وجود لفناء أو وجود للموت. فبمجرد أن يولد الإنسان يكون ناضجًا للموت. وليس الموت إذن حادثًا يطرأ على الحي، بل الحي يحمل الموت بين جوانحه، منذ أن بدأ الحياة، وإنَّما يوهم الناس أنفسهم بالفرار من الموت... وفي الموت يتمُّ الشعور بالفردية إلى أقصى درجة؛ إذ يشعر مَن يموت أنَّه يموت وحده» (بدوي، ١٩٨٠، ص٩٣).
- العدم: الملال من كل شيء في الحياة يولِّد لدى الفرد شعورًا عميقًا من القلق و«يكشف لنا عن العدم، عدم الحياة» (بدوي، ١٩٨٠، ص٩٢). «ما نقلق عليه في القلق هو العدم الماثل في الأشياء والأحياء؛ إذ نشعر في القلق بأننا نحن وكل الأشياء والأحياء قد انزلقنا في هاوية غامضة غير محدَّدة. فتبدو لي

CC BY

e-ISSN: 2707-1863
(CRESH)

غريبة، لا أهتم بها، إنَّها لم تنعدم، ولكنَّها فقدت عندي كل معنًى، وأضحَت خِلْوًا من كل معنًى يثير الاهتمام» (بدوي، ١٩٨٠، ص٩٢). وهذا العدم لا يعارض الوجود، بل ينتسب إلى الوجود نفسه، وهو شرط لتحقُّق الوجود.

- الصدق: «يُعتبر الصدق سمة من سمات الفرد الوجودي. في الواقع، تبدو الفردية والصدق الوجوديان وكأنَّهما وجهان لعملة واحدة. ففردية المرء (بالمعنى الوجودي) لا تقلُّ عن صدقه. ولكي تكون صادقًا بحقٍّ، يجب أن تدرك فرديَّتك، والعكس صحيح. كلٌّ من «الفردية» و«الصدق» الوجوديَّين كلمة إنجاز. فالشخص الذي يتجنب الاختيار، والذي يصبح وجهًا وسط الزحام أو ترسًا في الماكينة البيروقراطية، قد فشل في أن يكون صادقًا؛ وهكذا نستطيع الآن أن نصف الشخص الذي يعيش حياته وفقًا لأوامر أو توقعات الآخرين بأنه غير صادق». (فلين، ٢٠١٤/٢٠٠٦، ص٧٨، ٧٩).